الفصل الثاني عشر

السحر

لما كان السحر من أقدم ما عرفه الانسان البدائي ، إنسان ماقبل التاريخ ، فقد رأينا أن نعقد له هذا الفصل . هذا والسحر يطلق ، عامة ، على قوة الاتيان بالعجائب وممارستها باستخدام عوامل فوق الطبيعة مفروض وجودها عند من يمارسون السحر . وتدور حول السحر نظريات ، منها نوعان : النظرية الشخصية والنظرية الموضوعية : فأما الشخصية فهي المراسم التي يضعها ممارسو السحر له بما يتفق معه ، ومن هنا كانت المراسم التي لاتصبغ بصبغة دينية ، تعد سحراً . أما النظرية الموضوعية فتعد السحر مستقلا عن الدين ، ولهذا كان للسحر خواصه وأصله النفساني ، وكان طريقا الي علم همجي يعتمد على قوانين تخيلية مفروض أنها تعمل على منع سير النظام المستند إلي قوانين الطبيعة

وعند « إ . ب . تايلور » أن مميزات السحر هو عدم صحتها ، إذ أنها خليط مشوش من المعتقدات والممارسات التي يؤلف اتحادها كل ما ليس له فى الطبيعة سبب ونتيجة . ومن أنواع السحر ، العنصر الروحي وهو ينتظم الكائنات الروحية وأشباح الموتي والشياطين والآلات . أما العنصر غير الروحي فأنه يعتمد على القوى المتصورة واتصالاتها فى الطبيعة ، أى أنها منطق غير تام فهى اتخاذ فكرة غير صحيحة على أنها صحيحة . ومن أمثلتها أن الهندي الامريكي ، اذا ما رسم صورة غزال وصوب اليه سهما أو طلقا ، توقع أن يقتل غزالا حقيقيا فى اليوم التالي

ومن قبيل هذا :سحر المحاكاة وهو أن يعمل الساحر عملا يشبه العمل المقصود فاذا أراد استنزال المطر ملأ أناء من الماء ووقف علي ربوة وصبه معتقداً أن السماء ستفعل فعله . واذا أراد أن يقتل خصما له ،رسم صورته على ورق أو مثلها في طين ثم يتلفها معتقداً أن مايحدث للصورة أو التمثال يحدث للشخص نفسه . أما سحر العدوى فهو أن يأخذ الساحر أو يعهد الي أحد أن يحضر له شيئاً من لباس الشخص المطلوب اذاه فيتلف هذا الشيء فتنتقل عدوى التلف من هذا الشيء الي الشخص نفسه. وكان المصريون يؤمنون بسحر المحاكاة فقد وجدت بعثة المانية ٢٩٠٠ شقفة من الفخار عليها أسماء أعداء مصر فى الخارج والداخل ممن كانوا يحاربون الحكومة أو يخرجون عليها .وعند البعثة ان المقصود من كتابة هذه الاسماء على الفخار هو كسر الفخار وتحطيمه حتى يحدث للاعداء ما يحدث للفخار وهو أن ينهزموا وينكسروا . أما سحر العدوي فان العامة تمارسه للآن فى مصر في الرقية فانهم اذا رقوا أحداً من مرض يعتقدون أن العين هي أصله يأخذون « أثراً » من لباس صاحب العين ويحرقونه ويرقون به المصاب فيشفى على زعمهم

وعند « الأثرى المصري محرم كمال، أمين المتحف المصرى » أن «ما ندعوه الآن بالسحر قد ورثناه عن المصريين القدماء . فقد اشتهرت مصر في قديم الزمان بالسحر ، والى الآن لاتعدم قرية من قرانا ساحراً تضفي عليه خيراتها وتضع فيه ثقتها ويستمتع فيها بالنفوذ والثقة اللذين كان ينعم بهما سحرة العصور القديمة ».

كان المصرى القديم يلجأ الى الساحر اذا أراد التخلص من عدوه ، وتخبرنا النصوص بان الساحر كان يعذب هذا الشخص بما يطلقه عليه من أحلام مزعجة وأشباح مرعبة وأصوات مستغربة ، بل أن الساحر كان يسلط عليه الامراض

فتنهك قواه وتهد بدنه . وكان الساحر قادرا على أن يجعل النساء يتركن أزواجهن ويتعلقن باذيال من يريده هو من رجال وان كانوا موضع كرههن من قبل وكان الساحر يطلب في مثل هذه الاحوال لكي ينجح عمله أن يؤتي له بقليل من دم الشخص المطلوب أو قلامة من أظافره أو خصلة من شعره أو قطعة قماش من ثياب يكون قد لبسها ـ فاذا حصل على ماطلب، صنع تمثالا من الشمع بشكل الشخص المطلوب (العمل له) ، ووضع فى التمثال أو استعمل في صنعه الاشياء التى أخذها ، فاذا تم له ذلك ألبس التمثال ملابس كالتى يرتديها الشخص نفسه حتى يشبهه تمام المشابهة ، ثم يجرى عليه طائفة من الاعمال السحرية ، فكان اذ دق مسمارا في التمثال أصيب الشخص بمرض . واذا قرب التمثال من النار أصابت الشخص حمى خبيثة . واذا طعن التمثال بسكين قتل الشخص أو جرح ويظل الساحر يزاول أعماله حتى يقضي على الشخص الذى يريده ! وقد ورد فى النصوص ان هذا النوع من السحر قد استعمل ضد الملك رمسيس الثالث ولكنه اكتشف الامر وقبض على هؤلاء السحرة وصادر ما وجده لديهم من تماثيل الشمع التى صنعت بشكله كما أوردته ورقة «هاريس» البردية السحرية وورقة « تورين» البردية القضائية أفليس هذا النوع من السحر وعمل التماثيل من الشمع أو الطين ووخزها بالابر والدبابيس هو الذى يستعمله الدجالون في القرى والاقاليم الآن ؟

وكل مالدينا من غرام بالتمائم والتعاويذ والاحجبة كحجاب الحب والكره والحفظ ، وآلاف التمائم التى تعلق فى رقاب الاطفال حتى تطول أعمارهم ، كل هذه ان هى إلا عادات ورثناها عن أجدادنا القدماء الذين كانوا لا يسيرون خطوة إلا والتمائم ترافقهم وتحميهم ، وزيارة واحدة للمتحف المصري تطلعكم على آلاف التمائم التى استعملها المصريون القدماء .

ويقرب من هذا : اعتقاد العامة اعتقاداً جازما بالعين وقوة أثرها . فاذا

جلست الي رجل منهم حدثك كيف أن هناك فئة من الناس لا تكاد ترى شيئا تعجب به حتى يحصل له حادث ما ، ومن هنا نشأت فكرة تعليق الصحون على مداخل المنازل أو قرون الاغنام أو عروسة القمح علي الابواب كذا طائفة من التمائم نراها معلقة علي العربات وسيارات الاغنياء والمثقفين بشكل خرز أو قلائد توضع دفعا للعين ـ فهذه الخرافة ورثناها أيضا عن مصر القديمة ، فقد وجد في مكتبة معبد الأله حوروس فى أدفو كتاب مملوء بالرقي والتعاويذ لطرد العين الشريرة . كما أن هنالك أنشودة معروفة للاله تحوت يرجع تاريخها الي الدولة الحديثة وقد ورد فيها ما يأتى : « أيها الاله تحوت : اذا كنت تحميني لم تبق بي حاجة الي الخوف من العين » .

ويعتقد العامة المصريون الاحياء أن هناك ساعات من النهار بل أياما معينة لا يحسن بالمرء أن يأتى فيها عملا لانها منحوسة ـ فهذا الاعتقاد فى الايام سعدها ونحسها قديم أيضا اذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن الايام تكون سعيدة أو منحوسة طبقا لما وقع فيها من حوادث سعيدة أو كريهة فى أساطيرهم الدينية ، فاليوم الاول من أمشير الذي رفعت فيه السماء ، وكذا اليوم السابع والعشرون من هاتور الذي عقد فيه صلح بين الاهلين حوروس وسيت وتراضيا فيه على أقتسام العالم ، كانا يومين كلهما سعد وبركة . أما اليوم الرابع عشر من طوبة الذى بكت فيه ايزيس ونفتيس على أوزيريس فقد كان يوما منحوساً . وكان هذا الاعتقاد من القوة في العصر الفرعونى بحيث أن كثيراً من الاعمال كالبدء فى سفر بعيد أو عقد صفقة تجارية أو ما اليها كان يؤجل من أجل هذه الاسباب وما زلنا الآن بعد مضى خمسة آلاف سنة نؤجل أشياء لهذا السبب عينه

وقد اعتدنا فى ليلة شم النسيم أن نعلق البصل فوق الاماكن التى تنام فيها أو نضعه تحت الوسادة ، وفي الصباح نكسر البصل ونشمه . وفي بعض القرى

يعلقون هذا البصل على باب المنزل . فهذه العادة مصرية قديمة ، اذ كان الناس في عيد الاله « سكر » إله الموتي فى مدينة منفيس يدورون حول جدران هذه المدينة وقد علقوا البصل حول رقابهم ، كما كانوا يعلقون البصل حول أعناقهم في الليلة التى تسبق هذا الاحتفال .

وعند « ج ج . فريزار » أن السحر يقوم على قانون العطف ، أى على فرض أن أشياء تعمل علي تقيضها على مبعدة خلال عروة سرية بسبب وجود التشابه بين شيء وآخر أو أنهما كانا فى وقت ما متصلين أو أن أحدهما كان جزءاً من الآخر ، وأن السحر نظام قد نشأ فى الجماعة ورافق وجودها ، أى أنه لا ينشأ مع الفرد الواحد ، إذ أنه لن يعرف السحر في مكان غير مأهول .

أما الطلاسم وهى إحدى فروع السحر فان القول بأن حلها يؤدي الي فتح الكنوز فقد يكون هذا صحيحاً لأن هنالك رموزاً أفضى تفسيرها إلى معرفة أماكن ومناجم معدنية ، قبل ماعرف عن مواطن الآثار القديمة وكنوزها ومناجم الذهب والمعادن النفيسة . أما غير هذا فهو احتيال على العقول .

وقد ورد السحر في التوراة حين ذكرت السحرة والنبى موسى ، كما ورد في أكثر من آية فى القرآن خاصة فى قصة موسى ، وقد نقل كتاب الفلاحة القبطية الى العربية من الكلدانية فى الدولة العباسية ، ووضعت مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى في صورة الدرج والكواكب ، وقد ألف « صابو بن حيان » كتبا في السحر والكيميا وألف مسلمة بن أحمد المجريطي فى الاندلس كتاب « غاية الحكيم » وهو خلاصة كتب ابن حيان .

وعند « ر . ر . ماريت » أن الدين والسحر شكلان لظاهرة اجتماعية غير منظورة ، وأن الانسان الاول كان يخضع لنظام يعالج ما هو فوق الطبيعة . وفى هذا النظام عناصر كل من السحر والدين ، اللذين كانا شيئا واحداً ثم افترقا

فاصبح الدين هو الاعلى وهو المقر به وهو الاكثر حرمة . غير أنه ما بين ماهو سحر خالص ودين خالص ، توجد عناصر غير متميزة .

ويروى « ديبرى » أن سكان استراليا الوسطى يجتمعون في حفلة يفتحون خلالها فتحة يقيمون عليها بناء يسع كبار الرجال . أما النساء فأنهن ينظرن اليهم ثم ينسحبن قليلا نحو ٥٠٠ ياردة . وهنا يتقدم السحرة ويدمون اثنين من الرجال ، فيلقيان بأيديهما في الهواء ويأخذ الرجال الآخرون دمهما . أما الدم فرمز للمطر .

الشعوذة

وقد جاء فى أحد أعداد مجلة «الهلال» أن الشعوذة فى اللغة خفة اليد وأخذ (بضم ففتح) كالسحر يرى معها الشيء في رأى العين بغير ما عليه أصله. والفرق بين الشعوذة والسحر إن الاخير هو عمل شيء فيه مناقضة لنواميس الطبيعة وخروج على قيودها . والمراد منه فى الغالب اخراج الباطل في صورة الحق . وفي بعض كتب اللغة أن السحر هو ما يستعان فى تحصيله بالتقرب إلي الشيطان مما لا يستقل به الانسان . على أن العلم ينكر السحر لانه يقوم علي مخالفة نواميس الكون فاذا كانت هذه المخالفة وهمية أو من قبيل الخداع البصرى فهي الشعوذة والخفة .

وبينما يعتمد الساحر على قوة غير منظورة فان المشعوذ يعتمد على الخداع وخفة اليد .

والارجح أن السحر وجد قبل الشعوذة وأنه تحول اليها بمرور الزمن ، وأثر السحر ظاهر بين جميع الشعوب الهمجية خاصة قبل عصر التاريخ . فلا تجد قبيلة من القبائل المتفرقة في الهمجية وإلا ولها ساحر تحترمه وتنقاد له . بل

لقد كان الساحر أو العراف قديماً زعيم القبيلة وسيدها المطلق ، وهذا ما جعل زعماء القبائل يلجأون الي الخداع والمخاتلة لضمان زعامتهم على قومهم ، ومع قدم الزمن أدرك الناس أن مخالفة نواميس الطبيعة غير ممكنة ، فالشمس لا بد أن تشرق في النهار ، والنار لا بد أن تحرق ما يلقي فيها ، والحديد لا بد أن يغرق في الماء والسم لا بد أن يقتل من يتناوله . فاذا حدث ما يناقض جميع ذلك فهو شعوذة لا شك فيها .

ولأيضاح ذلك نقول على سبيل التمثيل : أنه لما ذهب كولمبوس الي أميركا فى القرن الخامس عشر ، توغل بعض رجاله بين قبائل الهنود الحمر ، فهجم عليهم هؤلاء ليفتكوا بهم ، وكان البعض يعلمون إن الشمس ستكسف ذلك اليوم . فتهددوا الهنود إن هم مسوهم بسوء بان يطلبوا من « معبودهم » الشمس أن يغضب عليهم ! . . وما هى إلا دقائق حتى بدأت الشمس تكسف ، فذعر الهنود واستولى عليهم الهلع وخيل اليهم أن أولئك البيض آلهة . فاطلقوا سراحهم واستغفروهم وقدموا لهم هدايا وتحفاً كثيرة . ولا يزال بعض هنود أميركا إلي هذا اليوم يتناولون قصة الآلهة الذين زاروا بلادهم من أحقاب كثيرة وكسفوا الشمس ! . . .

فما أتاه أولئك البيض لم يكن سحراً إذ لم يكن فيه خروج على نواميس الطبيعة . ومع ذلك عده الهنود سحراً . ولعله أقرب الى الشعوذة منه إلي أي شيء آخر ، إذ ليس فى الشعوذة ما هو مناقض لطبائع الاشياء . إلا أن المشعوذ يستغل معرفته لتلك الطبائع ويستعين بخفة يده ومهارته على خداع الناس

ومما يدل على ما كان لكلا الساحر والمشعوذ من مقام عند الاقدمين (ولم يكن هؤلاء يفرقون بينهما) أن ملوكهم كانوا يحيطون أنفسهم بالسحرة والعرافين ففي التوراة أنه لما صنع موسي معجزة أمام فرعون استدعي هذا سحرته وعرافيه

وطلب منهم أن يفعلوا مثل ما فعل موسى. وفى التاريخ إن الاسكندر ذا القرنين كان إذا أراد الخروج إلى الحرب استشار السحرة والعرافين. وكذلك كان يفعل الروم والرومان والفرس وغيرهم . ومن أمثلة هـذا أن كهان معبد دلفى ببلاد الروم قديماً كانوا يشيرون على الملوك وقادة الجيوش الذين يستشيرونهم باشياء لا يمكن أن يؤاخذوا عليها مهما جاءت به الحوادث . قيل إن أحد اقيال الروم استشارهم مرة فى محاربة الفرس فقالوا له : « إنك ستخرب مملكة عظيمة » فلما حاربهم انتصروا عليه . وكان تأويل نبوءة الكهان سهلا ،فانهم لم يعينوا الغالب والمغلوب ، فكانت النبوءة تحتمل الوجهين

وقد كان فراعنة مصر يقربون اليهم السحرة والمشعوذين لينبئوهم بالغيب وليفسروا لهم الرؤى والاحلام وليقرأوا لهم الافلاك ويطلعوهم على المستقبل . وكذلك كان يفعل ملوك بابل وأشور والفرس والروم والرومان . بل لقد بقيت تلك البدعة متمكنة من النفوس حتى الآن . وما عهدنا بشعوذة راسبوتين ببعيد فقد استطاع ذلك الدجال التغرير بعقل قيصرة روسيا وايهامها أنه يستطيع أن يفعل ما يشاء لأن له صلة بالعالم غير المنظور .هذا ولا يزال فى أوربا كثيرون حتى من العلماء ممن ينخدعون بالدجل والشعوذة . ومن أشد دواعي الاسف أن بعض الخبيرين باسرار الاستهواء أى التنويم المغناطيسى يستغلون معرفتهم به للتغرير بالناس ولتمويه الحقائق بطلاء الباطل والشعوذة

ولقد كانت الشعوذة ولا تزال مرتبطة بالتطبيب والتنجيم ارتباطاً وثيقاً . فكان الطبيب فى أطوار الاجتماع الاول مشعوذاً يستعين بقليل من الخبرة وبكثير من الدجل والخداع . فكان إذا دعي لعيادة مريض عمد إلي وصف بعض الاعشاب والمواد والي استطلاع النجوم والافلاك وتنبأ بما سيكون من أمر العليل .ولهذا كان لشخص الطبيب عند الاقدمين حرمة كبيرة وكان الناس ينظرون

اليه كما ينظرون الي شخص مقدس يجب الخضوع له في كل شيء وكان الطبيب أو المشعوذ يرث مهنته عن أبيه ويورثها له. ومن هنا نشأت طائفة الكهان أو العرافين الذين لم يكونوا في الحقيقة سوي دجالين مشعوذين. صحيح أنهم كانوا في أقدم عصور الاجتماع يؤمنون عن اخلاص بما لهم من قوى خارقة قد ورثوها عن غيرهم، ولكنهم أدركوا مع قدم الزمن أن دعواهم قائمة علي الكذب والدجل وأنهم مجردون من كل قوة خارقة للطبيعة. ويقول علماء النفس إن أولئك المشعوذين كان لهم في عدة مواقف فضل على قومهم بما كانوا يوقدونه فيهم من نار الحماسة وما ينفخونه من روح الشجاعة والاقدام. وتفصيل ذلك إن قادة الجيوش الاقدمين كانوا إذا خرجوا للحرب والقتال يستشيرون السحرة والكهان كما تقدم القول ويذيعون ما يقوله هؤلاء بين الجنود ليشجعوهم ويستثيروا حماستهم. وفي التوراة إن شاول ملك اليهود استشار روح صموئيل النبي فيما سيؤول اليه أمره من محاربة الفلسطينيين فانبىء بانه سينكسر وبان جيشه سيهلك ومع ذلك لم يعبأ فكانت آخرته وبالا عليه، وليس هذا مجال البحث في كيفية استشارة روح صموئيل، وانما نقول أنها تمت على يد عرافة مشعوذة. وكان هو نفسه « أى شاول » قد قطع دابر العرافين والمشعوذين فى مملكته. ولعله أو ملك في التاريخ حرم العرافة والسحر والشعوذة. فقد كانت هذه المهنة كثيرة الشيوع بل كانت من مستلزمات الاجتماع فى العصور الغابرة وكان النساء الرومانيات كثيرات الشغف بالالتجاء الي المشعوذين لاستطلاع حظوظهن. ولسنا نعلم جيلا من الناس لم تلجأ نساؤه الي الدجالين والمشعوذين لاستطلاع أنباء الغيب والكشف عن المستقبل، فان مثل ذلك الاستطلاع في خلق المرأة منذ أقدم أزمنة التاريخ

ولنرجع الى الشعوذة المحضة منذ أقدم الازمنة، فنرى أنها كانت شائعة عند قدماء المصريين وكانوا يخلطونها بالسحر. وفي سفر الخروج من التوراة ان

سحرة مصر (ويراد بهم المشعوذون) تمكنوا من تقليد الآيات التي صنعها موسى أمام فرعون لحمله على اطلاق سراح الاسرائيليين . ومن ضروب الشعوذة التي كانوا يمارسونها أنهم كانوا يحرقون البخور في غرفة مظلمة فتنعقد في الجو سحب كثيفة من الدخان تظهر عليها صور مختلفة فتدهش الناظرين ، وكانت تلك الصور أو المرئيات تنعكس عن مرايا معدنية مقعرة مستورة عن الانظار

ومن أعمالهم أيضاً أنهم كانوا يرسمون صور الآلهة على جدران الاقبية أو الدهاليز المظلمة المقامة تحت الارض ، وما هي الا لحظة حتى تلتهب تلك الصور كأنها بقوة سحرية . والمعروف أن تلك الصور كانت من مواد قابلة للالتهاب فاذا مست النار جزءاً منها سرت في سائر الاجزاء وأحدث التهابها دهشة عظيمة؟

وهناك ضروب أخرى من الشعوذة كان يمارسها قدماء المصريين . وعنهم أخذ اليونان حتى قيل أن كهنة دلفي وافسس وغيرهم تلقوا السحر والشعوذة عن المصريين . ومن عادة الرومان أنهم ما كانوا يقيمون وليمة الا وللشعوذة منها نصيب كبير .

ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعليل الشعوذة التي كان يقوم بها كهان دلفي ببلاد اليونان . فقد كان الملوك وقادة الجيوش يقصدونهم اذا عزموا على القيام بغزوة أو حرب ويستطلعون ما هو مقدر لهم في صحف الغيب كما قدمنا . فاذا ألقوا على أولئك الكهان سؤالا سمعوا أصواتاً لا يعلمون من أين هي رداً على سؤالهم . ومن المحتمل أن الكهان كانوا يحسنون اخراج الاصوات من بطونهم — وهو ما يعرف اليوم « بالفنترولوكويسم »

واذا عدنا الى العصور المتوسطة رأينا أن الشعوذة كانت منتشرة فيها انتشاراً عظيما . فقد أشار شوسر الشاعر الانجليزي الى مرئيات غريبة كانت تظهر في بعض الاحتفالات وتمثل مواقع قتال ومشاهد صيد وحوادث مختلفة

وذكر السر جون مندفيل أنه شاهد مثل ذلك في قصر أحد أقيال الشرق . وروى « تشليني » في أواسط القرن السادس عشر أنه رأي صوراً ورسوماً مدهشة بارزة على ستار في الظلام فى بناء الكولوسيوم بمدينة روما . والارجح أن جميع هذه المناظر كانت مما يعرف اليوم بالفانوس السحرى . وقد كان البعض يعتقدون أن الفانوس السحرى من مخترعات القرن السابع عشر

ومما يجدر بالذكر أن الفيلسوف ديكارت الذى نبغ في النصف الاول من القرن السابع عشر صنع تمثالا شبيها بالانسان الميكانيكى الذى شاع صنعه اليوم فى أمريكا والذى يسمى « روبوت » أو « أوتومات » . وكان ينطق بكلمات وعبارات تدهش السامعين . قيل أن ديكارت كان مسافراً ذات يوم فى سفينة ومعه هذا التمثال . فلما رآه ربان السفينة تشاءم منه وقذفه الي البحر وفى أواخر القرن السابع عشر عرض رجل انجليزى يسمى توماس ابرسون فى قصر تشارلس الثاني تمثال رجل يتكلم ويجيب علي أسئلة السائلين . وتعليل ذلك أن التمثال كان دقيق الصنع جدا وكان مجوفا يختفى في داخله رجل ذكي الفؤاد يتكلم عدة ألسنة ويخرج من جوفه أصواتاً غريبة كأنها آتية من بعد . ولم تنكشف جلية هذا الاختراع إلا بعد مرور الزمن

ومن ضروب الشعوذة أن أحدهم قد يدفن نفسه حياً ويظل مدفوناً أياماً في مكان لا يتطرق اليه النور أو الهواء أو الغذاء حسب الظاهر . ومع ذلك ينتفض بعد أيام من قبره كأنه ينفض عنه غبار الموت .

ومن أعمال مشعوذى الهند أيضاً أنهم يمشون حفاة علي النار جيئة وذهابا ولا تحترق أقدامهم . ولعل هذا من قبيل الخداع البصرى أو لعله يستند الى

الاستهواء أى التنويم المغناطيسي . وأغرب منه ما يفعله بعض دراويش الهند حيث يلقي حبلا فى الهواء فينتصب الحبل في الجو فيتسلقه الدرويش كأنه يصعد فى الجو ويظل صاعداً صاعداً الي أن يختفي عن الانظار . وما هى الا لحظة حتى يظهر بين الجمهور بغتة . أو قد يتسلق الحبل الممدود في الجو ومعه ولده وبيده سكين ومتى وصل الى ارتفاع كبير عمد الي الولد فذبحه والقي رأسه بعيداً وظل الدم يسيل غزيراً . فيهيج الجمهور ويريد الفتك بذلك الدرويش ،الذى يختفي فى الجو فجأة ومتي هدأت ثائرة القوم ظهر بينهم ومعه الولد المذبوح !

وقد حاول الكثيرون أن يعرفوا سر هذه الشعوذة فلم يوفقوا الى ذلك . وحاول بعضهم رشوة بعض دراويش الهند بمبالغ كبيرة ليكشفوا لهم سر تلك الظاهرة فلم يفوزوا بطائل . وعند بعض علماء النفس ان التعليل الوحيد لتلك الظاهرة هو التنويم المغناطيسى أى أن المشعوذ يستهوى الجمهور وينومه تنويماً مغناطيسياً ويوهمه أنه يرى ذلك المنظر الغريب

ومن هذا القبيل ما عرضه منذ سنة تماماً رجل هندى من البراهمة في انجلترا فانه كان يثب أمام جمهور النظارة فى الهواء ويجلس القرفصاء وهو غير معلق بشيء أو مستند الى شيء وكان يظل كذلك مدة وهو مكتوف اليدين وقد تبين بعد ذلك أنه كان فى الحقيقة يجلس علي أسلاك حديدية غير منظورة

ويقول الكاتب : لعل أغرب أنواع الشعوذة فى الوقت الحاضر ما يشبه أعمال دراويش الهند من قطع رأس الانسان أو نثر بعض أعضاء جسمه ثم اعادة الرأس المقطوع أو الاعضاء المبتورة الي أماكنها . وليس من السهل شرح هذه الحيلة فى مثل هذه العجالة وانما نقول أنها تستلزم استعداداً خاصاً وأدوات وآلات خاصة .

الخــــــــــــــــــرافة

كان الانسان البدائي يخاف كل شيء ، يحدث له ضرراً أو هلاكاً كالسيول والامطار الجارفة والضواري ، وأخذ يتوسل لدفع شرها ويتوهم أنها تمثل ذواتاً أو قل إنها أشخاص يجوز أن تقدم لها القرابين وأن يلتمس منها كف الاذى، ومن هنا نشأت العبادة والتدين ،أي أنها انبعثت من رهبة الطبيعة وما فيها وتطورت الي شعور بالارتياح والشكر حين ينجاب غضب الطبيعة وينتهي أذاها

وليس ببعيد أن تكون هذه الاحداث موضوع رواية يتناقلها الناس جيلا بعد جيل محشوة بالمبالغات والاوهام مما يتصوره عقل البدائي الساذج وبما يشهده في حلقات جماعته في دعائهم وشكرهم ، وأن يكون من أثر هذا وضع الأناشيد والقصص والاشعار والموسيقي الهمجية الساذجة

هذا ويسود المرويات الروح المنفصلة أي استقلال الروح وهي مركز الحياة عن الجسم كما هو المشاهد في القصص الخرافية القديمة . فهي في الواقع ، متضمنة علوم القدماء وخيالهم وأدبهم وفنهم

الطب والســحر

السامى متفائل بطبعه . راغب فى الحياة آخذ باسبابها ، رافض فكرة الفناء معتقد في الحياة الاخري وفى الثواب والعقاب ، فهو ـ لهذا ـ ساع لجعل الحياة سعيدة ، ومعنى بالصحة وسلامة البدن إلى حد عد هذا عقيدة دينية تطالبه بالطاعة لها . أما ما يحول دون ممارستها فعنده أن ذلك يرجع إلى الأرواح الشريرة ، وكان عنده أن السحر وسيلة للعلاج .

وعند صاحب اللسان أن الطب هو السحر ، الذي قال فيه ابن الاسلت :

ألا من مبلغ حسان عني * أسحر كان دواؤك أم جنون

رأى المؤلف

لقد أوردنا فى ما تقدم آراء العلماء في السحر . وعندنا أن السحر يقوم على عنصرين : أولهما ما ينزل باعصاب الانسان البدائي والانسان المتحضر نفسه من ضعف وفتور حيال قوارع الزمان وأحداثه . ولما كان في كل إنسان ، مهما تكن منزلته من التحضر والعلم والرقي ، ناحية من السذاجة ، سذاجة الطفولة التى من أثرها التصديق أو الايمان ببعض الاقوال خاصة اذا ما ألقيت إليه على الصورة التى تستهوى النفس وتخلب اللب وخاصة اذا ما وقع هذا حين ينزل به المكروه ويعز العلاج ويتلمس المنكوب النجاة ـ كانت النفس الانسانية متأهبة لتلقي ما يشعرها بقوة الشفاء من ناحية علوية أو خفية غير منظورة بعد أن باء العلاج المادى بالفشل ، بل كانت هذه النفس متعطشة لهذا التلويح أو التلميح بالقوة المشار اليها «قوة السحر» أو ليس الانسان هدفا لألوان الخداع والغش والغبن والاحتيال ، حتى إذا لم يزعم المحتال لنفسه قوة سحرية ؟

أما ثانى العنصرين فانه يقوم علي قوة شخصية الخاتل أو الساحر : زعامته في بنى قومه ، نفوذه الادبى ، ذلك أن نظراته نفاذة وأقواله مؤثرة في نفوسهم ، سواء أكانت موجهة عن قصد التأثير والخداع أم عن غير تعمد ذلك . ومن أجل هذا اختلط علي الانسان البدائي ما تنطوي عليه زعامة الزعيم وعلم العالم وسحر الساحر ونسك الناسك وقداسة القديس بل ألوهية الأله ، فقد كان هذا

الانسان يتصور هذه القوى متجمعة في إنسان أو جماد ما . وصحيح أن انسان عصرنا الحاضر قد أصبح يفرق بين هذه القوى ويعرف الكثير عن مصادرها ، غير أن النفس البشرية لا تزال تتنظر ، إذ تمتحنها المحن ، إلى قوة روحية خفية تنقذها من الخطر ، وقد توفق النفس الي هذه القوة الروحية الصالحة ، وقد تخدع بسحر الساحر وتقع في أحبولة المخادع

بل إننا نكاد نذهب الى أبعد من هذا ، فنقول إنه قد يكون من مصلحة المنكوب اليائس من العلاج الطبيعى أو المادى، ان تقوي روحه المعنوية بشيء من الاستهواء والمخادعة ، فلقد طابت نفوس يائسة على أثر زيارتها لضريح ولي واستماعها لدعاء جاهل ، أو أقوال قاري، كف أو « عزائم » أو كاتب «تمائم» أو فاتح « رمل أو فنجان» أو المنوم مغناطيسياً أو بعد حفلة«زار »